قرأت العدد الماضي من الآداب

القصص

بقلم : يوسف الشاروني

*

يحوي عدد نوفمبر (تشرين الثاني) من مجلة الاداب خمس قصص قصيرة ، اربع منها موضوعة ، اما الخامسة فمترجمة ، الى جانب مسرحية قصيرة للكاتب الامريكي وليم ساروبان ، وهذا تنويع موفق من الهيئة المشرفة على تحرير المجلة .

حامل الاختام لعبد الرحمن البيك

هذه القصة مكتوبة بضمير المتكلم ، تحكي على لسان شخص يبدو شاذا – عقليا وجسميا – قصة شذوذه . ولما كانت القصة مليئة بالملاحظات الذكية والساخرة ، فاننا نتساءل لاول وهلة : لماذا اختار الكاتب ضمير المتكلم بدلا من ضمير الغائب ؟ ذلك اننا نحس بعد انتهائنا من قراءة القصة ان هذا الشخص الغبي قد استطاع ان يقص بمهارة فائقة قصته حتى لكأنما الراوية يتحدث عن شخص اخر ، وكأنما هناك ازدواج متناقض في هذه الشخصية ، فبقدر ما يبدو من غباء تصرفاته بقدر ما يبدو من ذكاء تعبيره . ولهذا فان الاسلوب يبدو انه لا يعبر عن عقلية صاحبه بقدر ما يعبر عن مهارة خالقه . ونستطيع ان نقتبس نموذجا لذلك . يقول بطل القصة وراويها :

واذ اراد أبي ان يوقعني في حرج اخر .. بحيث اصبح لا يريد لي اليقظة ولا الفهم ... خاطب الاصدقاء :

– ان الامر الذي يغيظني .. نسيان اسمه الاصلي ، فاسمعوا اليه بماذا يجيبني.

فالتفت الي وسألني :

ما هو اسمك يا عبد الجليل ؟

– اسمي ؟.. عبد الوارث عسر .

– هل رأيتم ؟ ألم أقل لكم ؟ هل عندكم أ جمل من هذا ؟

فنحن هنا بازاء شخصيتين جعلهما مؤلف القصة شخصية واحدة، شخصية تذكر جيدا حديثا دار بينها وبين والدها ، وأخرى تنسى ألصق شيء بها وهو اسمها . وهكذا فطوال قراءتنا للقصة نحس كأننا نحن امام مرآة تزدوج فيهاالصورة ، وبدلا من ان يفصل بين الشخصية المزدوجة عالم النهار وعالم الليل كما في شخصية دكتور جيكل ومستر هايد يفصل هنا بينهما عالم الادراك الداخلي الذي تلتقي فيه بالشخصية الواعية الذكية الساخرة ، وعالم التصرف الخارجي الذي نلتقي فيه بالشخصية ذات الشعر الذي ثار على المشط والماء والعين ذات الحول والتي تفشل في دراستها حتى يفصل صاحبها من المدرسة لبلوغه سن الثامنة عشرة ورسوبه عدة سنوات في الصف الرابع . وكأنما هي شخصية تعيش في كابوس ، فهي تدرك كل ما هو حولها ولكن حركتها تتخلف عن هذا الادراك . وهكذا ، وبسبب هذا القالب الذي اختاره مؤلف القصة ، نجد اننا بازاء شخصية فقدت التوازي والتوازن بين ادراكها الداخلي وحركتها الخارجية . ونجد أن قالب القصة ومضمونها يعبران عن هذا الانفصال بينالقدرة الابداعية وموضوع هذا الابداع، وهو انفصال يعانيه الرجل العادي ، في حضارتنا حيث ينفصل وعيه وقدراته عما يستطيع ان يحققه .

أما الوالد فهو الشخصية الثانية او الثالثة في القصة ، وهو يمثل عالم الحلم والطموح الذي ما يلبث ان يتحطم يأسا امام هذا الازدواج الذي لا يلتقي في شخصية ابنه . وليست نهاية القصة الا ذروةالسخرية المريرة ، فبالرغم من هذا الانفصال بين الوعي والتحقق ، وبمجرد موت الوالد الذي كان يحلم دائما – وعبثا – بان يرى ابنه شخصا مرموقا مثله ، نجد ان الابن قد حقق حلم والده واحتل مكانته ، وكأنما يعيش في احدى العشائر التوتمية التي حدثنا عنها فرويد ، فقتل رب القبيلة الذي كان يسلبه كل قدراته ثم تربع على عرشه ، فتم التقاء المتوازيين بالرغم مما سبق من مقدمات .

صلاة المائدة لديزي الامير

أما هذه القصة فقالبها اكثر كلاسيكية وبساطة ، تروى بضمير الغائب ، ونقرأها فكأنما نستمع الى « حدوتة » . بطلتها هناء نشأت في « النبات والنبات » ، فلاسمها صلة بحياتها . والدها محترم ميسور محبوب ، والام مؤمنة جميلة خفيفة الظل محبوبة ، سعيدة ايام كانت في بيت ابيها وسعيدة في بيت زوجها فلم يخيب الله لها طلبا ، تحقق لها حلمها في زوجها وعدد اطفالها بل وعدد الذكور وعدد الاناث، وليس مجموع الاناث الا واحدة هي هناء . ومع هذه الاسرة السعيدة كانت تعيش عمة هناء . والقصة تدور حول علاقة هناء بعمتها في طفولتها أولا بشيء من التفصيل ، ثم عندما نمت هناء في شيء من التعرض السريع . وشخصية العمة هي العنصر الذي يحمل ما يشوب جو السعادة المخيم على تلك الاسرة ، فلولا وجودها لظل كل شيء في « النبات والنبات » وما كانت هناك قصة . فالعمة في صباها أحبت ابن عمها ، ولكن بعد ثلاث سنوات على اعلان خطبتهما تبين أنه لا يحبها ففسخت الخطبة ، ولم يكن لها حظ الزواج بعد ذلك . ومن هنا تكون أول خيط من خيوط عدم الرضا الخفي في نفسية العمة الذي ألقى بظله على سعادة هذه الاسرة ، وكانت هناء بسذاجة طفولتها وبراءة اسئلتها تعاون على ابراز مظاهر هذا الحزن الخفي الذي يعتمل فيباطن العمة ، فهي تسألها تارة عن أولادها الذين لا وجود لهم ، وهي تضبطها تبكي تارة أخرى ، ثم تكتشف أخيرا ان عمتها في خلاف مع الله بسبب هذا كله .

ثم كبرت هناء وانصرفت عن الاهتمام بعمتها حتى كان صباح ماتت فيه العمة ، وفجأة اكتشفت هناء ان حياة عمتها كانت تحمل معنى من معاني الاستشهاد ، فهي تقول « ان عمتي عاشت حياة غير سعيدة ، تعبت فيه بتربيتنا دون ان يكون لها الحق في أن نكون اولادها وتحملت مسؤولية البيت دون ان يكون بيتها » ، وثار ضميرها لانها لم تعمل على اسعاد عمتها ، فرأت – وفاء لها – ان تتقمص سخطها وتعلن بدورها خلافها مع الله .

وهكذا فلئن كانت قصة « حامل الاختام » تمتاز بأنها أقرب الى اسلوب القصة الحديثة المركب المتشابك ، فان قصة «صلاة المائدة » تمتاز بالبساطة ذات الطابع التقليدي الناجح للقصة القصيرة .

« بانتظار صلاة القمر » لوليد اخلاصي

هذه القصة ابتهال صوفي، وكأنما هي لحن من سوناتا ضوء القمر. تبدأ برغبة مشتركة بين الزوج والزوجة في مغادرة المدينة وضجيجها الى هدوء الجبل. ولكن بعد ان يلتقي الزوجان في هذه الرغبة يعودان فيفترقان. الزوج يقول لزوجته وهما في سيارتهما في الطريق الهادىء الى الجبل : اسمعي الصمت . فتجيبه : كيف اسمع الصمت ، انه لا يتكلم . وعندما يلمحان فاريا تقول : نسيه صاحبه ، فيقول : كيف هرب منه صاحبه . وعندما يهم بالتحدث اليها يجدها نائمة وحين يصلان الى الفندق ويرجوها ان تذهب معه في رحلة قصيرة يجدها ذهبت في سبات عميق . فيخرج وحده يصلي للقمر اله الصمت . وحين يعود الى غرفته ينظر اليها مشفقا عليها قائلا : لم تصل مثلما صليت . ويزداد الانفصام بينهما وضوحا حين يتحدثان في صباح اليوم التالي فلا يسمع كل منهما الا نفسه :

يقول لها : كان الليل رائعا .
فتجيبه : كنت متعبة .
يقول : كان القمر يبارك أشجار السرو
فترد عليه : هيا نمشي قليلا
فيقول : الهدوء في الليل يا رجاء عباده ، لم تزعجني كلاب الرعاة
فتجيبه : سأنتظرك في الردهة .

ومن قبل كان الزوج قد اعترف بعقم مثل هذا الزواج حين قال: كان زواجنا منذ ثلاث سنين ، لم يأتنا بولد .

وهكذا نجد أنه بينما كان الاهتمام في قصة « حامل الاختام » موجها الى رسم شخصية عبد الجليل نفسيا وجسميا واجتماعيا رسما متقنا ، نجد ان الاهتمام في قصة « صلاة المائدة » موجه نحو «الحكاية». أما قصة « بانتظار صلاة القمر » فان رسم الشخصيات والحكاية تحتلان مكانا ثانويا بينما يبرز الاهتمام بالجو العام في المقدمة .

أما « رائحة البشر » بقلم رينه عبودي ، وهي رابع القصص المؤلفة المنشورة في العدد الماضي فما كنت لاحسبها في عداد القصص لولا ان فهرس العدد يقول ذلك، فقد تجاوزت قدرتي على الفهم والتذوق وبانتظار ما يعينني على فهمها من كاتبتها أو احد القراء الذين استطاعوا تذوقها .

وردة الى اميلي ، لوليم فوكنر ، ترجمة ابرهيم الهواري

ربما كانت وفاة هذا الكاتب الامريكي العظيم أخيرا هي التي دفعت الاستاذ ابرهيم الهواري الى ترجمة هذه القصة ، وقد سبق ان قرأت ترجمة لها قام بها الاستاذ عباس العقاد في كتاب بعنوان « الوان من القصة القصيرة » وهو يشمل مجموعة قصص قصيرة لمختلف كتاب القصة الامريكية . وليس معي الاصل الانجليزي اثناء كتابة هذه الكلمات لمعرفة مدى دقة الترجمة ، فأنا شديد الاهتمام بهذه الناحية لان كثيرا مما يترجم اليوم بعيد عن الاصل سواء بسبب اهمال المترجم أو عدم فهمه ، مما يجعل هذه الترجمات لا قيمة لها . ولكن بمقارنة هذه الترجمة بترجمة الاستاذ العقاد يتضح ان السيد المترجم بذل جهدا مشكورا في الترجمة وان كان قد آثر ان يغفل بعض التعبيرات الموجودة في الاصل الانجليزي ربما لاعتقاده انها لا تهم القارىء العربي ولا تؤثر على السياق العام للقصة . مثال ذلك عند ترجمة الجملة التي تتحدث عن هومر بارون الذي كانت له علاقة بالسيدة اميلي وقد جاء فيها انه كان معروفا عنه انه ينادم صغار الشباب في نادي الدعل فنجد ان المترجم حذف اسم النادي ، وكذلك عند الحديث عن القس الذي ذهب للتفاهم مع اميلي بشأن علاقتها بهومر ، فان المؤلف يصفه أنه من اتباع الكنيسة الرسولية وهو ما أغفله ايضا السيد المترجم . وفي اعتقادي ان المحافظة على الاصل أمر ضروري لاعطاء الجو الفني الكامل الذي قصد اليه المؤلف .

أما القصة فهي من خير قصص فوكنر القصيرة ، وشخصية السيدة اميلي مرسومة بدقة جسميا واجتماعيا ونفسيا مع ما طرأ عليها من تطورات . وبالرغم من اننا نتعرف على السيدة اميلي في جو يحيطه الغموض ومن خلال تصرفاتها الخارجية فحسب الا اننا ما نكاد ننتهي من قراءة القصة حتى نكون قد ادركنا نفسيتها تماما.

وبالرغم من ان القصة تبدأ بنهايتها ، وهي موت اميلي ، ثم تعود بنا القهقرى لنتعرف على حياتها ، الا انها احتفظت لنا باكتشاف اخير كان قد مهد له اثناء القصة ، الا وهي قتل اميلي لصديقها هومر بارون واحتفاظها بجثته في منزلها مدة اربعين عاما . وقد شمل هذا التمهيد خالتها التي فقدت عقلها في اخر ايامها ثم احتفاظها بجثة والدها بعد وفاته حتى اذا شعرت بأن اهل المدينة مستعدون للجوء الى القانون والقوة رضخت لهم فواروا الجثة بسرعة ، واخيرا عندما ذهبت الى الصيدلي لتشتري سما . وهذا التمهيد ـ الى جانب شعور اميلي بالوحدة ـ كان دافعا لها الى ان تحتفظ بصديقها ميتا ما دامت لاتستطيع الاحتفاظ به حيا ، فتصرفاتها ادت الى وحدتها ووحدتها ادت الى تصرفاتها.

مسرحية « انتم يا من هناك » لوليم ساروبان ترجمة عبد الجليل حسن

مسرحية « انتم يا من هناك » لوليم ساروبان ترجمة عبد الجليل حسن . وتعالج هذه المسرحية القصيرة قضية الوحدة ايضا ، يدل على ذلك عنوانها « انتم يا من هناك » ان الفتى يصرخ من زنزانته قائلا :

ـ انني وحيد ، وحيد كذئب البراري « ثم يصرخ » هالو .. من هناك . فتجيبه الفتاة ـ وهي طاهية السجن واسمها اميلي « ايضا » ! وانا وحيدة كذلك . وهذا الفتى وحيد حتى قبل ان يدخل السجن ، فهو يقول ، ليس من الخير ان يظل المرء دائما يهيم في الطرقات بحثا عن اي شيء قد يكون في الوقت نفسه موجودا هناك ، على المرء ان يحصل على رفيق يبقى معه دائما .

وهو في السباق يكون جواده قريبا جدا من الفوز لكنه لايربح ابدا ، وعندما كان على مائدة الغداء في المطعم جلست بجواره امرأة ثم دعته الى منزلها ثم طلبت منه نقودا فلم يعطها فأخذت تصرخ حتى اتوا وقبضوا عليه بتهمة الاغتصاب ، تقول له اميلي :

ـ هذه المرأة كانت وحيدة
ـ حسبت انها وحيدة وقد قالت هي ذلك .
ـ ربما كانت وحيدة
ـ كانت على شيء من الوحدة

فوحدته ووحدة الاخرين ايضا هي التي دفعته داخل جدران الزنزانة . وهي التي تدفعه الان ـ واكثر من أي وقت مضى .. الى التعلق باميلي كما انها تدفع اميلي الى التعلق به . وعندما تذكره اميلي ان هناك عصابة ثائرة من الاهالي تنتظره بالخارج يقول لها ان هذا لايهم. ثم يقول :

ـ ساكون على خير حال ـ الان
ـ ماذا تعني بقولك الان
ـ أعني بعد ان رأيتك ، لقد حصلت الان على شيء .

وهو يحلم مع اميلي احلاما عذبة .. سيتزوجها ويذهب بها الى سان فرنسيسكو او اي مكان اخر يشبهها وسيربح الاموال ويكون لديهما مال كثير .

ولكن هؤلاء الذين يتهمونه بالاغتصاب ، هؤلاء الذين يغتصبون كل شيء طيب خلق في هذا الوجود ، لايتيحون له ان يتغلب على وحدته عندما اوشك ان يتم له ذلك ، لم يربح جواده القريب من الفوز هذه المرة ايضا ، فحرموه ان يندمج في الاخر ، وما لبثوا ان اقتحموا عليه زنزانته وقتله زوج المرأة التي دعته الى بيتها ، بينما كانوا يصفعون الفتاة ويطرحونها ارضا ، فتصيح بدورها :

ـ انتم يا من هناك ... أنتم يا من هناك .

القاهرة — **يوسف الشاروني**

الأبحاث

بقلم : عبد اللطيف شراره

★

الثورة طريق الحضارة العربية

عني الاستاذ انور قصيباني في بحثه هذا ، بمصير الحضارة الراهنة، معتبرا في بدء من حديثه ان « الاعتقاد الشائع » حول انهيار الحضارة الغربية الحالية ، صحيح لا يرقى اليه ادنى ريب ، وان « الاشراط الدالة على سقوط هذه الحضارة تكاد تثب من كل مركز من مراكزها الكبرى سواء في السلوك او الافكار ، او في ميادين النشاط المختلفة » .

هنا ، لي ماخذ على هذه الطريقة في التفكير التي تقر آراء الاخرين من غير تمحيص ، في النظر الى قضية خطيرة ، قد تكون اخطر ماواجه الفكر الحديث من قضايا ، اذ لايكفي ان يشيع الرأي ليكون صحيحا من جهة ، ولا يكفي ان يقول به اعلام كبار مثل نيتشه واشبنغلر وتوينبي من جهة ثانية ، ولا يكفي ان ينعقد الاجماع على القول به من جهة ثالثة ..

لقد كان لنيتشه زاوية خاصة وموقف خاص نظر منها ومنه الى هذه القضية ، وكذلك هو شأن اشبنغلر ، وشأن توينبي ، وهو هو شأن طاغور الذي انتهى الى النتيجة نفسها التي أفضى اليها أولئك الاعلام الغربيون .

واذا كان الاستاذ قصيباني يوافق هؤلاء المفكرين على النتيجة ، فلا بد من ان يكون قد وصل اليها ، من طريق اخرى ، ولكنه لم يوضح لنا هذه الطريق التي سلكها لبلوغ مثل تلك النتيجة ، فما هي الزاوية التي نظر منها الى الحضارة ؟وما هو الموقف الفكري الخاص الذي انطلق منه لتقرير ماقرر ؟

انه لم يتبع خط توينبي « المؤرخ » ذي « النزعة الدينية » ، ولا خط ولسون اللامنتمي بدليل « استقرابه » لمقترحاتهما ، ولا اتبع خط الروس المحدثين ، لانه موافق على مافيل : « ان الروس يمكفون اليوم على تركيب رأس حيوان لجسم انساني » ! .

كيف اهتدى اذن الى النتيجة نفسها التي اهتدى اليها اولئك الذين يخالفهم الرأي في « الحل » ؟

هذه ثغرة خطيرة في تفكير الاستاذ قصيباني ، ومن هذه الثغرة نفذ الابهام الى جملة مقرراته ، وسيطر على جوه الذهني ضرب من الاغراق في الحدس جعله « يتنبأ » اكثر مما يفكر ، و « يتخيل » اكثر مما يعرض او يبين ، و « يحلم » اكثر مما ينظر الى الوقائع .

انه يتنبأ حين يقول « بكل نهور » ـ وهو الذي يصف قوله هذا الوصف ـ : « ان الدور الان ، لابداع حضارة جديدة ، حولنا نحن العرب » !

وهو يتخيل حين يقول : « ان الدهشة التي تصيب الشخصية الحضارية ، في يقظتها الاولى ، امام انتصاب الجمال ، المنبثق من الحياة ، انبثاق النوافير ، واللطمة القاسية المحرقة التي تتلقاها هذه الشخصية منه على صفحة روحها ، انما هو دليل على الثراء الخصب الذي يتفاعل في اعماق هذه الشخصية ، والذي يصنع رؤاها »

هذا تخيل محض لايستند الى واقع ، لانه مبني على مجردات ، موغلة في عالم التجريد ، فالدهشة شعور فردي لاتمر به جماعة اطلاقا ، وكلمتا « الشخصية الحضارية » لاتدلان على معنى واضح ، ولا تشيران الى حقيقة موضوعية ، وكل مايمكن ان يفهم المرء منهما ، ايماءة الى تشبيه او كناية او مجاز ينقصه الاستقرار في الذهن ، ويشكو الترجرج . وكذلك هو شأن سائر العبارات : « صفحة الروح » « الثراء الخصب » ، « صنع الرؤى » .

وهو يحلم لانه يقرر في بدء من حديثه عن أسس الابداع الحضاري: « ... لكننا نؤمن بان الحضارة تستعصي على كل قانون ، وان عمليات الابداع الحضاري لاتخضع لمفاهيم محدودة ، مدروسة ، او مستخلصة ، يمكن ان تطبق في كل زمان ومكان . »

اذا كان هذا هو ايمان الكاتب ، فكيف يقر ان الحضارة الغربية الحالية تعاني مرحلة نزعها الاخير ؟ ومن اين اتاه ذلك الرأي بان ابداع حضارة جديدة ، هو الان دور العرب ؟

واذا كان انهيار الحضارة الغربية « واقعا » فكل واقع يجري بقانون واذا كان للعرب ان يلعبوا دورا ابداعيا في المرحلة الراهنة من تطور الحضارة ، فلا بد من ان تكون هنالك وقائع او « ارهاصات » تؤكد ، او تظهر على الاقل ، بدايات هذا الدور وفي كلتا الحالتين ، لاغنى عن الاستناد الى قانون !

ليعذرني القارىء اذا انا نقلت اليه هنا الكلام الذي القاه رابندرانات طاغور ـ وهو الشاعر المفروض فيه ان يتخيل ويحلم اكثر من أي باحث ! ـ في ١٨ حزيران عام ١٩١٦ على طلبة الجامعة الامبراطورية في طوكيو ، حين وقف يحذر اليابان من الحضارة الاوروبية . قال :

« الحضارة التي تأتينا من اوروبا ، مفترسة ، ونزاعة الى التسلط . انها تستهلك الشعوب التي تغزوها ، وتبيد او تلاشي الاجناس البشرية التي تزعجها عن زحفها الفاتح . انها حضارة سياسية برمتها ولها نزعات آكلي لحوم البشر ، ترهق الضعاف ، وتجمع الثروات على حسابهم . انها آلة طحن ، تزرع البغضاء والتفرقة في كل مكان ، وتخلق الفراغ امامها . انها حضارة علمية . وليست انسانية . وقوتها انما تأتيها من انها تجمع كل قواها وتطلقها نحو الهدف الاوحد الذي هو تكديس الثروة ، شأنها شأن المليونير الذي ينال غناه على حساب روحه، فهي تنكث الوعد باسم الوطنية ، وتمد شباكها بلا حياء ، وحبائل أكاذيبها ، وتنصب اصناما ضخمة ، مريعة في معابد لاله « الربح » ، ذلك الاله الذي تعبده . اننا نتنبأ دون ادنى تردد ، ان هذا لايمكن ان يدوم

شتاينبيك

في روايته الحائزة على جائزة نوبل للادب ١٩٦٢

حين فقدنا الرضا

(The winter of our Discontent)

شتاء سخطنا

الرائعة التي بلغت القمة

في اصفى لغة وابرع ترجمة بقلم :

سميره عزام

اطلبها من صاحبة حقوق نشرها بالعربية

دار الطليعة ـ بيروت ـ ص.ب ١٨١٣

يصدر قريبا جدا للكاتب نفسه

شارع السردين المعلب

ترجمة : منير بعلبكي

الى الابد ، وذلك لان في العالم قانونا اخلاقيا مهيمنا ، ينطبق على الجماعات كما ينطبق على الافراد . »

هذا كلام واضح ، ومفهوم ، لايغوص في المجردات ، ولا يبنى على احلام وتصورات ، ويرى ان ثمة « قانونا اخلاقيا » هتكت اوروبا حرمته وتجاوزت قواعده ظلما واعتباطا ، فلذلك ، يتنبأ صاحبه بعدم دوام هذا الوضع .

اما دليلنا نحن العرب على سقوط الحضارة الغربية ، فانا نستله من التاريخ ، تاريخنا القريب ، ولا يزال جاريا ، أي من « انشاء » اسرائيل على ارض فلسطين ، ظلما وعدوانا .

هذا دليل حسي يفهمه البسطاء من الناس في كل ارض عربية ، كما يفهمه الفلاسفة الكبار مثل توينبي وبرتراند راسل ، ولا حاجة بعد الى دليل اخر . وكان في مستطاع الاستاذ قصيباتي ان ينطلق منه ، ويبني عليه .

غير انه اذا اوغل في غيابات الحدس ، ونفى قيمة القانون في مثل هذه الدراسات ، اضطر بحكم هذه المواقف الى وضع تقريرات اصح ماتوصف به انها « ذاتية » ، ولذا ، كثر استعمال « السين » و «سوف» لديه ،على نحو لم يسبق ان رأيته لدى كاتب يعالج قضايا خطيرة كالتي خاض فيها الاستاذ قصيباتي .

لاحظ هذه العبارات : « أمة من الامم سوف تتحفز للبدء في عملية بناء حضارة جديدة ... » ، « ... وريثما تبرهن أمة من امم القارات المتأخرة ، نظريا وعمليا على عكس مانقول ، سيبقى هذا الحق ملكا لنا نحن العرب » ، « ... أما ابداع الحضارة فهي وظيفة سوف تلتصق بكيان اجيال لم تولد بعد . » ، «.. وفي هذه الحالة ، سوف تتاخر ولادة الحضارة ، ربما قرونا عديدة . » ، « .... والشرط العملي الذي سيأذن بانطلاق الحضارة الجديدة ، هو ان نصل اولا الى المستوى الفكري والعلمي التكنيكي الذي وصلت اليه الحضارة الحديثة » ، « .... اذ اننا نحدس بانه سيكون للحضارة الجديدة روح خاصة بها ، عربية محضة . »

لادري ان كانت هذه « التنبؤات العجيبة التي تستسهل استعمال الدلالات اللفظية على المستقبل ، ناشئة عن جرأة ، ام عن ايمان ، أم عن هوس ، ام عن رغبة ملحة في استعجال مايريد الكاتب ان يكون ، غير اني لمست في أخر هذا البحث روحا موضوعيه تتنافى والذاتية الحدسية في أوائله .

انه يبين مثلا ان الثورة هي الدرب الاوحد للحضارة « لان الثورة وحدها تستطيع ان تحقق النهضة الشاملة التي نريد بها ان نصل الى مستوى اخر الحضارات » ولكن من قال للاستاذ قصيباتي ان هذه الثورة التي ينشدها « الان » ، أي في اطار الاوضاع العالمية الراهنة ، لن تمنى بالفشل ، او تتعرض لنكسة تمنعها من تحقيق النهضة التي يريدها . ونحن نعلم علم اليقين ان جميع الثورات التي قامت في التاريخ كانت تتعرض لنكسات ، وهزائم ، وانشقاقات ترد الوضع الى أسوأ مما كان عليه قبل اندلاعها ؟!

ثم يبين ان « النهضة الحديثة لن تنجح الا عن طريق العلم » وهو يشاهد بأم عينه كما شاهد غيرنا من قبل ، ان العلم حيادي بين الرذيلة والفضيلة ، بين الشر والخير، بين الحق والباطل ، وان النزعة العدوانية في العالم الراهن تتغذى اكثر ماتتغذى على العلم ، وان هذا العلم نفسه عاجز في الحضارة الغربية القائمة ، عن وقايتها من السقوط والاخفاق، ومعنى ذلك كله ان نجاح النهضة ليس رهنا ـ كما يقرر الاستاذ قصيباتي ـ باتباعها طريق العلم ، وانما باتباعها طريق الفضيلة ، طريق الخلق النبيل، في استخدام العلم .

على ان جملة مايؤخذ من هذا البحث ، والشروط التي يضعها الكاتب لقيام « نهضة ما في العالم العربي » ان الثورة ليس امرا محتوما، لانها معلقة ـ بحسب تقريراته الموضوعية على تحقق احوال واوضاع هي نفسها غير محتومة ، كتغير الوضع السياسي الراهن ، واعادة توزيع الثروات ، و « سحب الطاقة من الجمال ، وتحويل هذه الطاقة الى الثورة التي تقف بانتظارها » ، وهكذا يخفق الكاتب في البرهنة على ما قال وقرر في بداية بحثه .

الثورية ومنطق التجربة والنكسه

لماذا نعيد النظر ؟

ثم يأتي الاستاذ مطاع صفدي بدراسته هذه للمسألة الثورية ، في اعقاب الاستاذ قصيباتي ـ او هكذا شاء ان يكون ترتيب الابحاث في العدد الماضي من « الاداب » ـ فيتساءل مطاع عن كيفية طرح المسألة الثورية من جديد ، وعن الحاجات الاساسية التي تحمل على هذا التجديد ، وعن الفائدة الحقيقية في « مواجهة المسألة بصورة جذرية شاملة » .

وبدلا من ان يجيب عن هذه الاسئلة التي طرحها ، وبالترتيب الذي وضعه لها ، يستدرك ، ويسأل : « ما هي الثورة اولا ؟ »

وهكذا ... يستطرد مطاع ، ويستطرد ، وتتشابك الموضوعات في ذهنه ، وينقدح له من الجواب الذي قد يقدمه عن سؤال طرحه ، عدة أسئلة ، فانت لاتمضي في قراءته الا ليعود بك الى ماكان قد اوقفك عنده ، او ليقف عند موضوع جديد انتهى اليه نتيجة الاستطراد ،فتحسب وانت تقرأ ماكتب ، انك تطالع في كتاب الماني لفيلسوف معقد قضى عمره بين المجردات ، فلا يكاد يتناول المحسوسات الا من بعد سحيق .

الموضوع الذي يفصح عنه عنوان بحثه واضح . يلخصه هذا السؤال : « لماذا نعيد النظر ؟ » وعبثا تبحث في الصفحات الاولى عن

في المكتبات

عاصفة على السكر

تاليف جان بول سارتر

ترجمة عايدة مطرجي ادريس

كتاب رائع يتحدث فيه الكاتب الفرنسي الكبير عن الثورة الكوبية التي قادها فيديل كاسترو ، ويفضح خطط الاستعمار الاميركي لخنق اقتصاديات كوبا ، ويصف مختلف الاوضاع السياسية والاجتماعية التي ادت الى نشوب هذه الثورة التي تعتبر من اروع الثورات في تاريخ الشعوب .

كل ذلك باسلوب تحليلي طريف وعميق امتاز به جان بول سارتر ، وروح تحررية تجعل هذا الكاتب العالمي في طليعة المفكرين الاحرار الذين عرفهم تاريخ الفكر والسياسة

منشورات دار الاداب — الثمن ٣ ل.ل.

جواب ، او بداية جواب، او منطلق نحو جواب ، وسر هذا الاسهاب كامن في استطراداته التي يستحيل ان تنتهي ، ثم في أسلوبه الذي ينقل القاريء في دهاليز فكرية يصعب عليه معها ان ينظر الى ماحوله بوضوح ، او يدرك ما امامه في ذلك الظلام المطبق من الجهات الاربع . هذا ، بالاضافة الى « تكرار » للفكرة الواحدة في قوالب متعددة ، و « اشارات » الى نظريات هي ، في جملتها ، مبهمة ، كالحديث مثلا عن « المفهوم الشكلي ـ بالمعنى الكانتي ـ » ثم عن الجدلية لدى هيجل وماركس ، وسارتر ، ثم عن الحضارة بالمعنى الانتولوجي الجدلي .

اما التكرار فمثاله قوله : « ان الثورة لايمكن ان تحدث ككل ، كما لايمكن ان تحقق الاغراض التي قامت من اجلها . » . وكان قبل ذلك قد قرر : « الثورة في حقيقتها شيء لايتحقق كله » . وفي مقام ثالث قال : « اذ ان الثورة حدث لايكون كله ، وهو حدث تنشق عنه احداث اخرى . »

وهذا الاضطراب في ترتيب الافكار ، ووضعها في سياق لايحتاج معه الى تكرار ، أوقعه ـ او اوقع المطبعة ، لا ادري ! ـ في كتابة فقرتين مرتين تبدآن في كلمتي « ولكن ينبغي .. » وتنتهيان بكلمتي «... ثورات اخرى » فقد وردت هاتان الفقرتان في اخر الصفحة ٦ من « الاداب » وبداية الصفحة ٧ وتفصل بين الصفحتين فقرة واحدة تبدأ هكذا : « ... فالتبرير اذن يكاد يكون كله فعلا ذهنيا مزيفا ... » مع ان هذه الفكرة ايضا قد ظهرت من قبل في شكل اخر !

لا اعتقد ان مثل هذا الاسلوب الاستطرادي التكراري الذي يتناول به صاحبه عشرات الموضوعات الفكرية في بحث واحد ، يمكن ان يؤدي الى « الاقناع » ، فضلا عن البيان و « الايضاح » .

تأمل مثلا عرضه لفكرة القدرية عند العرب ، وقد جاءت استطرادا ايضا ، فهو يقول : « وقد نكون نحن العرب ، من اقل شعوب الحضارات قدرة على تفهم هذا الموقف « يريد اعادة النظر » حتى تكاد ازماتنا التاريخية تمضي دون وعي منا ، وكثيرا ماأخذت طابع الحدث الغفل ، المجهول المصدر والاسلوب . ولذلك اعترفت حضارتنا المنصرفة ، ومازلنا حتى في تصفيتنا الحاضرة نعترف بطقوس القدرية التي تنفي عن الاحداث اية معقولية داخلية ، وتتركها لعامل خارجي اتخذ صفة الغول الذي يفترس كل شيء باسم لا شيء ، ومن اجل لا شيء ، فلقد صور الزمان بانه ذو سياق تخريبي وسمي بالدهر ، كما سمي الحدث الغفل من اية منطقية ، بالحدثان . وكل ذلك يعبر عن خضوع التاريخية العربية لمأساة خارجية ، تمثل فيها الاضرار ، بصورة القوى العجماء الغاشمة ، غير المفهومة . »

أعتقد أن الاستاذ صفدي يخلط هنا بين الاحداث الانسانية والاحداث الكونية وينصب نقده للعرب على موقفهم من الاحداث الكونية التي يعطونها صفة « القدر » كالموت ، والوقائع الماضية ، والحوادث المفاجئة التي لا يد للانسان فيها كالفيضانات ، والزلازل ، وما أشبه ...

ولقد كان موقف العرب من الاحداث الكونية ـ ولا يزال حتى في دور التصفية الحاضر ـ أقرب الى المنطق ، وألصق بالتفكير العلمي ، من موقف أي شعب متحضر . فالعرب أول من حاول ايجاد تفسير علمي لظواهر الطبيعة واحداث الكون ، بينما غيرهم كان يعتقد بآلهة للعواصف مثلا ودعك من آلهة البحار والغابات والنجوم وآلهة الشعر والحكمة و و... وعناية العرب بالطب والكيمياء والرياضيات في اطار الحضارات الاولى تؤكد اتجاه تفكيرهم نحو التجربة في درس السلوك الانساني . وقضية « الاخذ بالثار » التي شاعت عنهم وذاعت ، تدل على مدى فهمهم لتبعة الانسان حين يكون الحديث صادرا عنه . وحكمهم وأمثالهم تزخر بضرورة التدبر والنظر في العواقب والروية . وهذا نموذج من خطأ التفكير لدى الاستاذ صفدي ، وهو انما يقع في هذه الاخطاء لان ذهنه منصرف الى ما يقوله الآخرون ، منغمس في أجواء هيجل وماركس وسارتر وغيرهم ، منغلق دون الوقائع المحسوسة وهو يخوض في المجردات .

انه يقول : « ... فالتاريخ اذن لا يزحف ولا ينمو ، ولكنه يقفز »، والامر كله لا يعدو أن يكون ضربا من التشبيه ، أو المجاز ، أو الاستعارة ، وهكذا ... يبني مطاع نظريته في الثورية كلها على تشبيه او استعارة!! ثم يفسر « النكسة » من زاوية هذا التشبيه دون أن يلاحظ محتواه الواقعي في شيء أبدا .

واغرب ما في بحث الاستاذ صفدي أنه ينتهي الى نتيجة صحيحة، وهي أن النكسة ليست هزيمة نهائية ، وانما هي درس تخرج به الثورية اثر كل معركة من معاركها .

ليته ظل يستعمل « اللغة اليومية » لكان في بداية بحثه مثل نهايته لحظة استعمل هذه اللغة .

« أصابعنا التي تحترق »

الرأي الذي يبديه الاستاذ رئيف خوري في رواية « أصابعنا التي تحترق » لمؤلفها الدكتور سهيل ادريس يشير الى انطباع خاص ، وهذا الانطباع اذ يصدر عن قاريء ناقد ومؤلف مثل رئيف ، يعني ـ ولا ريب ـ أن هذه الرواية حققت الى حد ما ، ان لم يكن الى حد بعيد ، الكثير من أهدافها .

ذلك بأن رئيف لم يقف موقف الناقد المحلل الذي يعي جملة القضايا والشؤون الادبية فحسب ، وانما كان قارئا أيضا ، قرأ « الكتاب في متعة وشوق » ورأى فيه « مواقف جمة يرتفع فيها الكاتب عن محض الاخبار والتقرير ، ويجلي حتى يبلغ مرتبة كبار الموهوبين في الفن القصصي سياقا وحوارا وتحليلا وتصويرا » .

أما أن الكتاب يقرأ في متعة وشوق ، فهذا ما أوافق عليه رئيف ، ولكني أرى أن النوع الادبي ـ أي الرواية ـ الذي اختاره الدكتور سهيل لعرض « قضية رجال القلم في هذا البلد » لا يلائم القضية من جهة ، ولا استطاع المؤلف أن يوحد بين القضية والنوع الادبي ، بأسلوبه ، من جهة ثانية .

لقد كان من الافضل ـ في رأيي ـ أن يختار سهيل نوع «اليوميات» أو « المذكرات » في مثل الموضوعات التي عرض لها في روايته . وقد قفزت لذهني وأنا أطالع « أصابعنا التي تحترق » ذكرى مطالعتي لـ « يوميات أندره جيد » ، وفيها عرض شبه روائي للحياة الادبية في عصره ، وقضايا رجال القلم في بلده ، غير أني وقعت وأنا أتابع المطالعة ، على مذكرات الهام الشبيهة بيوميات جيد. وهكذا ... انقسمت الرواية بين نوعين أدبيين لم يلتحما ـ فيما أحسب ـ التحاما طبيعيا ، وعطلا على الكتاب وحدته ، وعلى القصة تسلسلها . وهذا ما لحظه رئيف أيضا .

وأود أن أشير الى قضية أراها مهمة في قصص الدكتور سهيل ، وهي أن تعلقه بالواقع اليومي ، بالحوادث الحياتية في سرد ما يروي أو يقص ، صرفه صرفا تاما عما يسميه أندره موروا «الحقيقة الشعرية»

هنالك حقيقتان في كل عمل فني : الواقع اليومي أو العملي الذي يعرفه كل الناس ويعايشونه ، ويتقلبون في أجوائه ، والحقيقة الشعرية أي تلك التي يدركها كل امريء في ذاته ، وليس لها وجود موضوعي ملموس ، ومسرحها الوحيد هو النفس البشرية وما يعتمل فيها ، ووظيفة القاص أو الروائي أن « يختار » من التفاصيل ما يوائم الحقائق الشعرية التي يريد أن يبسطها أو يوضحها في أثره الفني ، على أن تتجانس وتنسجم وتصب أخيرا في تأثير واحد .

والدكتور سهيل بارع في وصف الواقع اليومي وتصوير الحوادث الجارية ولكنه يخفق في اختيار التفاصيل ، وبيان الحقيقة الشعرية في كل شيء يراه أو يصوره ، ومرد اخفاقه ـ كما قلت ـ الى تشبث عجيب،

غير اعتيادي ، بأداء الحياة كما تجري ، وكما تظهر في واقعها العاري . وليس عمل الفنان مما يقتصر على « تجريد » الحياة من زخارفهـا ، أو تعريتها من ثيابها ، بل يتلمس هذا الزخرف وتصويره أيضا بروح شعريـة .

بواعث التجربة الشعرية

يتحرى الاستاذ ايليا الحاوي ، في بحثه هذا ، بواعث التجربـة الشعرية ، من خلال مقارنة يعقدها ، أول البحث ، بين الشاعر والعالم ، ويختار موضوعا معينا هو « الشجرة » ويمضي بعد ذلك في « تعميمات » يجد لها البراهين في موضوعات أخرى ومواقف شعراء معينين، فيقرر مثلا أن « التجربة الشعرية العميقة تصدر عن ذلك التوحيد الحي الذاهـل بين ما تعانيه النفس في الداخل وما تبصره في الخارج » .

ثم يقرر : « ... ان وراء التجربة الشعرية محاولة لزعزعة العالم المادي المتجمد وخلقه خلقا نفسيا يزيل برودة العقل ونباته وعجزه عـن الرؤيا الجديدة التي تخرج الانسان من دوامة السأم في الوجود » .

أظن أن من العسير أن ينطبق هذا القول على كل تجربة شعرية ، وعلى كل انسان ، وهو لا ينطبق ، على كل حال ، الا من باب التأويل ، فالسأم « تجربة » لا يمر بها كل شاعر والذين مروا بها من الشعراء ، كانوا يعانونها في لحظات ، وايليا عممها على « كل انسان » تعميمـا اصطناعيا ، ثم جعل وظيفة الشعر في « بعث العالم المادي » والقضاء على ما فيه من رتابة وتكرار . واكبر الظن أنه كان يفتكر وهو يكتب ما كتب ، اما بالمعري الذي ذكره أول الامر ، أو بصلاح لبكي ، أو بغيرهما ممن يشابهانهما في « الشعور » ، وقد استعان من بعد على تأييد نظراته، بشاعر مثل بودلير ، ثم بالرمزيين المحدثين ، ثم بالشعـراء « الملاعين » وهؤلاء كلهم يصدرون عن مزاج متقارب ، الى التشاؤم أقرب .

وعندما يصل الاستاذ الحاوي الى قضية « الحرية » وتوق الانسان اليها ، وأثر هذا التوق في بعث الشاعرية ، يتخلى شيئا فشيئا عـن التعميم ، ويصبح عندئذ موضوعيا في موقفه ، لانه ينصب على نمـاذج واضحة ، وأفكار لا يشوبها تعقيد أو غموض، فالباعث الاكبر على التجربة الشعرية – فيما يؤخذ من سير الشعراء الكبار ومجمل ما قالوه – انما هو محاولة الشاعر الدائبة على التخلص مـن « عـالم الضرورات » ، وتخليص الناس من الضرورة ، عن طريق تحويلهم من عبيد الى أحرار ، ومن علماء الى شعراء ، ومن فاترين خليين الى عشاق معاميد .

وحين لا يقف الاستاذ الحاوي وحـده بل يلتقي مـع كثير مـن المفكرين . وقد حسب أكثر من قارىء لمقالات الصحف ومتتبع أن ايليا أفاد في اكثر من نظرة وفكرة ساعة كتب بحثه هذا ، من مقال للاستاذ يوسف الحوراني ، نشرته مجلة « المعارف » في عددها عن شهر أيـار ١٩٦٢ تحت عنوان « الفن والانسان » ، وذكر لي عدد بلغ الثلاثة مـن هؤلاء القراء نحوا من تسع نقاط التقاء بين الحاوي والحوراني تقـرر النظرات والفكر نفسها . وكل من يقرأ المقالين واجد لا بد ، هذا النوع من الالتقاء ، بيد أني لا أستطيع الجزم فيما اذا كان التقاء الحـاوي بالحوراني بلغ حد الاقتباس ، وان كان الثاني متقدما عـلى الاول في الزمـن .

وكل ما أود أن أبنيه أخيرا ، أن الحاوي وفق الى ما لم يوفق اليه غيره من الباحثين في الحملة المباركة التي شنها « على ذلك النوع مـن الادب الذهني الذي يعزل تجربة الاديب في المطلق ، ويؤلف بيئة فكريـة فردية في الوهم ... »

ذلك صحيح ، وحسب هذا البحث فائدة أنه جلا تلك النقطة المهمة في حياتنا الادبية الراهنة ...

– عبد اللطيف شراره –

قريبـا :

سلسلة القصص العالمية

وفيها تقدم دار الاداب اروع ما كتبه كبار ادباء العالم من القصص الطويلة والقصيرة .

انتظروا الحلقة الاولى :

قصص سارتر

في كتاب واحد ضخم يضم القصص التالية :
الجدار – الغرفة – أيروسترات – صميمية – طفولة قائد – صداقة عجيبة

نقلها عن الفرنسية
الدكتور سهيل ادريس

والحلقـة الثانية :

قصص كامو

في كتاب واحد ضخم يضم القصص التالية :
الغريب – الزوجة الخائنة – الجاحد – البكم – الضيف – جوناس – الحجر الذي ينبت

ترجمة
عايدة مطرجي ادريس

منشورات دار الاداب